ذاكرة صعبة النسيان

نصوص وقصص قصيرة

الكاتبة: أ. رجاء يوسف عبد الشوامرة

أيا فلسطين من يهديكِ زنبقةً

ومن يعيد لك البيت الذي خربا

نزار قباني.

تعديل من خلال WPS Office

إهداء:

إلى تلك الذاكرة المغبرة من هجمات الحروب.

إلى جوعى الوطن المسلوب.

إلى أطفال الحجارة والانتفاضات الذين حولوا الحلم إلى واقع.

إليكم هذا .....

تعديل من خلال WPS Office

المقدمة

(ذاكرة صعبة النسيان) ليس كتابًا يُقرأ، بل ذاكرة تُستعاد، وجرحًا مفتوحًا يرفض أن يندمل. هو سرد للقصص الواقعية والتاريخية التي عاشها – ولا يزال يعيشها – الشعب الفلسطيني في مواجهة احتلالٍ صهيوني جاء من أقاصي البعد، لا ليحتل الأ رض فحسب، بل ليسرق التاريخ، ويغتال الهوية، ويحاول محو الذاكرة أو تشويهها، لتصبح ذاكرةً تقاوم من أجل البقاء بكرامة.

كان لا بدّ من النهوض بالحقيقة من تحت الركام، ولا بدّ من غرس حكاية الوطن المسلوب في عقول الأجيال، حكاية أرضٍ لم تُبع، ومقدساتٍ لم تُنسَ، وشعبٍ لم يتخلّ عن حقه مهما طال الزمن. رسالة هذا الكتاب واضحة لا لبس فيها:
الفلسطيني ليس طارئًا على المكان، له وطن، وله أرض، وله عقيدة تضرب جذورها في التاريخ والسماء معًا.

وفي الختام،
أرجو من القارئ ألا يكون شاهدًا صامتًا، بل حاملًا للراية، شريكًا في الذاكرة، وصوتًا في وجه النسيان. أن نكتب فلسطين لأن الكتابة مقاومة، وأن نؤرّخ لأنفسنا سواء كنا أحياءً أو أمواتًا؛ فكم من جسدٍ سقط، وبقي الأثر شاهدًا، وكم من دمٍ سال، فأنبت حكاية لا تموت.

تعديل من خلال WPS Office

إنهم يأكلون الجماجم.

لم يكونوا سوى وحوشٍ بوجوهٍ آدمية،
يأكلون البشر لا بأسنانهم،
بل بجرافاتهم،
ويشربون النصر من جماجم الصغار،
وسط ضحكات باردة
تُوجِع القلب أكثر مما ترفعه الدماء.

كأن يحيى بن زكريا عاد...
لا نبيًا هذه المرّة،
بل طفلًا صغيرًا
في العاشرة من عمره،
يحمل اسمه فقط،
ويحمل العبء كله.

في الصباح،
مرّ يحيى من أمام بيته.
الشارع لم يعد شارعًا،
نصفه مكسور،
ونصفه الآخر في فم الجرافة.

حدّق في العجلات الحديدية وهي تلتهم الإسفلت،
وقال في سرّه:
»اليوم أكيد في هدم بيوت....«

نظر إلى ابن عمّه عدنان،
أكبر منه بسنوات قليلة،
وأقرب إليه من أي أحد.
قال عدنان وهو يشدّ على كتفه:
هيك شغلهم يا يحيى...
هدم، اقتحام، سرقة، نهب،
وبعدين مستعمرة جديدة.

تعديل من خلال WPS Office

تذكر يحيى صوت جدّته في المساء،
حين كانت تمسح على رأسه وتقول:

»اسمع يا يمّا...
هم ما بخافوا من الأحياء،
هم بخافوا من الذاكرة.

وكانوا...
يأكلون الذاكرة.

الطالب الصغير الذي تعلّم القراءة باكرًا،
يأكلون دفاتره قبل أن يكبر.
الفلاح الذي يقطف الزيتون
وتبقى يده نظيفة من الغدر،
يقتلونه بحجّة "التمرّد".
الأم التي تحفظ أسماء خمسة شهداء
أكثر مما تحفظ نومها،
يسحقون رأسها المعنوي
لتُدفن حكايتها بلا أثر.

وذلك الطفل
الذي كان يظنّ
أن قريته،
مترًا مترًا،
هي الأمان.

كانوا يسحقون الرؤوس،
ثم يقولون للعالم القبيح:
ما كان في حدا هون.
إرهابيين.
يهددوا أمننا.
مش فلسطينيين... غرباء.
هاي أرضنا... شعب الله المختار.

تذكر يحيى كل هذا
وهو واقف إلى جانب عدنان،
والجيش أمامهما.

وفجأة...

تعديل من خلال WPS Office

دون تفكير،
انحنى يحيى
والتقط حجرًا.

يحيى! لاا
صرخ عدنان،
والعرق غطّى وجهه.
تعى، ورا الصخرة! بسرعة.

الرصاص يقترب،
والجرافات تزحف.

يحيى! اسمعني!!

لكن يحيى لم يسمع.
كان يعرف الوطن جيدًا.
كان يعرف
أنهم يريدونه بلا ذاكرة.

قالها في قلبه:
ما في وطن بلا فلسطين،
وإذا الموت جاي...
بجي واقف.

تقدّموا نحوه.
عدنان يراقب من خلف صخرة بعيدة،
عيناه معلقتان
وقلبه يسقط.

العجلات مرّت...
سحقت الجسد،
ومسحت الاسم عن الشارع،
حتى صار الرأس
في مستوى الأرض.

نجا عدنان.

أما الذاكرة...
فلم تنجُ.
سقطت مشوّهة،

تعديل من خلال WPS Office

مثقلة بما رأت
من حقدٍ
لا يشبع.

تعديل من خلال WPS Office

بيتٌ لا يخاف

تسكن البلدة القديمة، قريبة من معسكرات الجيش،
ولا تبالي بخطورة السكن بين المستوطنين والجنود.
البنادق تلتفت يمينًا ويسارًا،
تراقب كل نفس،
لكنها كانت تقول دائمًا، وبهدوء يشبه العناد:

أنا ما بخافش من الموت...
الموت مكتوب.
أنا بخاف أعيش بلا هوية،
وبلا وطن.

تجلس على عتبة بيتها،
تشرب كوب الشاي الساخن،
أمام بيت دافئ مليء بالتاريخ،
بيت كأنه يحكي...
من جدائل الحجارة تتسرّب الحكايات،
قصة جوّا قصة.

تشير بعينها إلى الزوايا وكأنها تعرّف المكان بنفسها:

هذه جرّة فخار،
كانوا يشربوا منها المي،
باردة حتى في عزّ الصيف.

وهذه مجرشة،
كانت أمي تهرس عليها القمح،
والصوت...
لسّا عالق بالجدران.

وهناك،
قطعة من التراث تزيّن بروازًا صغيرًا،
تحمل بين ضلوعها القبة الصخرة،
منسوجة بخيوط حرير مستقيمة،
ولا خيط فيها مائل،

تعديل من خلال WPS Office

كأنها تقول:
»هيك الوطن...
يا واقف، يا ما بكون.«

ترشف من شايها،
تبتسم،
وتغلق الباب بهدوء،
كأنها تحرس المكان،
أو كأن المكان هو الذي يحرسها.

تعديل من خلال WPS Office

رأيته عند مفترق مدينة موحشة، تنهشها القنابل ويغمرها القصف. كان طفلا ً أسود البشرة، هزيل الجسد، ملامحه الطفولية باهتة كأن الزمن حمّله من الأعوام ما يفوق عمره بعقدين. عيناه تبوحان بحكاية طفولة مفقودة بين جدران وطن حزين.

بكاءه كان بكاء الأيتام، أنين نازح صغير.

لا يملك غير وعاء فارغ، يحدّث نفسه بشفاه متشققة عطشى:

هل في الجنة طعام؟

هل في الجنة أرجوحة كبيرة تنتظرني، أم نيران القنابل التي تمزّق الفضاء؟

تنهد كمن أنهكته الشيخوخة قبل أوانها.

أزاح قطة عن حافة الطريق، وتقاسم معها طعامًا فاسدًا، يردد بصوت مبحوح:

أنا جائع.

تعديل من خلال WPS Office

سبقوه إلى الرصاصة

في المخيم كانوا يعرفونه جيدًا.
شابًا وسيمًا، طويل القامة، بهيّ الحضور،
إذا مرّ في الزقاق انتبهت له العيون قبل أن تنتبه الخطى.
يحبه الكبير لأنه يُنصت،
ويحبه الصغير لأنه يبتسم له كأنه يعرفه منذ زمن بعيد.

كان صوته يسبق اسمه.
فصيح اللسان، ثابت النبرة،
إذا تكلّم أنصت المخيم كله،
لا لأنه يرفع صوته،
بل لأن كلماته كانت تعرف طريقها إلى القلوب.

لم يُعرف عنه أنه قرأ الروايات،
ولا شوهد يحمل كتب الفلسفة الثقيلة،
كان يقول ببساطة:
»وقتي كله لفلسطين.«

قرأ عنها،
حفظ أسماء قراها،
عرف تواريخ النكبات كما يحفظ الناس تواريخ ميلادهم،
لكن القرآن كان بيته الأول.
حفظه بالقراءات العشر عن ظهر قلب،
وتعلّم الحديث وأسانيده،
حتى صار خطيب المخيم
وهو لم يتجاوز العشرين عامًا.

كلما صعد إلى المنبر
اهتزّ المكان بحضوره قبل خطابه،
حتى العصافير كأنها تنصت،
والحجر والشجر يشهدان.
كان يقول دائمًا:
»نحن لا نطلب الموت،
نحن نطلب أن نعيش بكرامة،

تعديل من خلال WPS Office

فإذا جاء الموت في الطريق...
لا نخافه.«

في تلك الليلة،
وكعادته،
ذهب ليصلّي العشاء في المسجد.
ابتسمت له أمٌ عند الباب وقالت:
»دير بالك ع حالك يا ابني.«

لم يكن في الأمر ما يثير الريبة،
فالجنود يقتحمون المخيم في كل لحظة،
تفتيش...
كأي يوم عابر،
من ذاك الروتين الفلسطيني القاتل.
لكنه لم يخف،
لم يركض،
لم يحدّق،
كأن شيئًا لم يكن.

كانت الرصاصة أسرع من الدعاء.
فهو ملجأٌ مُلتح يهابونه.
سقط على الأرض
بعد أن استقرّ الرصاص في عينه
ورقبته.

اجتمع المخيم كله حول جثمانه.
الأمهات يبكين،
الأطفال يسألون عن النور الذي كان في وجهه،
والشيوخ أكلهم الصمت الثقيل.

في جنازته،
لم يجدوا خطيبًا يودّعه.
صعد طفل صغير،
ابن عمّه،
قرأ آية كان الشاب يكررها دائمًا:
﴿والشهداء لهم أجرهم ونورهم﴾.

فهم المخيم يومها الحقيقة القاسية:
أنهم لم يخسروا شابًا فقط،

تعديل من خلال WPS Office

بل خسروا صوتًا
كان يذكرهم
أن الوطن يُحفظ
بالقرآن،
وبالكلمة،
وبالدم... أحيانًا.

وفي الزقاق نفسه،
صاروا إذا مرّوا يقولون:
هون كان يقف.
كأن المكان
يرفض
أن ينساه.

تعديل من خلال WPS Office

موتى لم يموتوا

السماء تبدو وكأنها تستعد لتضيء بالموتى، بينما الجنود يرقصون فوق جثث الأ
طفال.
الليلة ستغادر عائلات كثيرة، كانت تظن أن خيمة ممزقة وبقايا طعام قادرة على
حمايتها من ذئاب البراري.

النيران منذ الفجر لم تهدأ، والخراب يعمّ كل زاوية.
صوت واحد يتكرر على ألسنة الجنود بلهجة مكسّرة: "ممنوع التجوّل"؛ ليس في
المخيم فحسب، بل في الوطن كله.

أغلقت أذنيّ، فإذا بصاروخ آخر يهوي، وزنه أكثر من طن، أمريكي الصنع، تحتضنه
طائرات الحقد الصهيوني، طعامه الوحيد: الأطفال.

الصاروخ لا يقتل وحده، بل صوته أيضًا؛
صوت يسرق الأمان، ويزرع آلاف الأشباح من الخوف والذعر والكوابيس.
الكوابيس هنا لا تعرف النوم، تبقى ساهرة، تنثر رمادها على أطراف خيمة النزوح.

أتساءل:
هل سأغادر أشلاءً؟
أم أنتظر موتي يتسلل بغتة، وأنا أعانق تفاصيل هذه الأيام المظلمة؟

طوابير الموتى تزدحم؛
ذاك ينتظر حتفه ليلتحق بعائلته، وآخر أنهكه الجوع حتى بدت أمعاؤه وكأنها تنعى
نفسها.

في هذا المكان، الموتى لا يموتون مرة واحدة؛
كل منهم نظر في وجه الموت آلاف المرات. يستيقظون على مجزرة، ينجون مرة،
ويُقتلون مرات، حتى تتناثر أشلاؤهم في المخيم.

سجينات الدامون.

الحزن أثقل قلبها، شابة في ريعان العشرينات، عمرها يتسرب خلف قضبان سجن
الدامون للنساء.

تعديل من خلال WPS Office

تمضي أيامها في ظلام دامس، لم ترَ النور منذ ثلاث سنوات تقريبًا، تعدّ الأيام كما يعدّ الغريق أنفاسه الأخيرة.

في غرفة الزيارات، بكت حين رأت محاميها. ومنه عرفت ما لم تتحمّل سماعه:
أباها رحل منذ عام، ولم يخبرها أحد.
وأخوها الذي كان سندها، استشهد على حاجز بلدتها.

عادت إلى زنزانتها محطمة، دموعها تنقش على وجهها الهزيل مرثية لبقايا عمرها.
وما لبث المحامي أن غادر، حتى جاءها خبر آخر: تمديد الاعتقال ستة أشهر جديدة... قابلة للتجديد.

تعديل من خلال WPS Office

حقيقة راحلة

طفل صغير يقف أمام خيمته، وسط آلاف الخيام. يشعر للمرة الأولى أن أجنحته قد بُترت؛ لم يعد يعرف كيف يحلق.

ينتظر والدته منذ الصباح، علها تعود من عملها في الصحافة، تحمل له الأمان، وتنقل للعالم مأساة المخيم.

لكن العالم لا يجيد إلا المشاهدة.

يلتقط الأخبار من هنا وهناك، وكلها متشابهة: خيمة الصحافيين استُهدفت.

يتأمل وجهه في الصمت، والحيرة تزداد:

أين أمي؟

لماذا لم يخبرني أحد؟

لماذا لم أرَها على الشاشة؟

لم يبقَ سوى خبر عاجل عن استشهاد صحافية... هل تكون هي؟

اللحظة أثقل من الدهر. دقائق تمرّ وسط صراخ وانفجارات.

أدرك الطفل الحقيقة؛ أمه استُشهدت.

أفاق من حلمه البريء، وودّعها باكيًا، فيما دموعه تتساقط كأنها دمها الذي خطّ رسالة أخيرة له:

"لا تبكِ يا صغيري... كن قويًا."

تصلّب قلبه فجأة، كبر عن عمره بعقدين.

عاد إلى خيمته وحيدًا، بلا عائلة، يحضن الرسالة ويقاوم دموعه.

تعديل من خلال WPS Office

شاهد على الفقد

رأيته على بُعد أمتار قليلة، واقفًا بمحاذاة النافذة التي تُطلّ على البيوت المُستهدَفة. كان يتصبّب عرقًا، وجسده الهزيل يحكي عن جوعٍ طال أمعاءنا، وعن سقمٍ أنهكنا جميعًا.

لم تكد تمضي لحظات، كلمح البصر، حتى دوّى صاروخٌ من طائرة مُسيّرة، فابتلعت السماءُ بيوتًا بأكملها. ارتفع الدخان كثيفًا، وتردّدت في الأرجاء صرخاتُ الثكالى، بينما كانت سياراتُ الإسعاف تجمع أشلاءً متناثرة، نصفها ما زال تحت الركام.

خرجتُ مسرعًا من البيت، أبحث عن مأوى يحفظ جسدي من التمزّق، لكن لا مأمن هنا... الموت يُلاحق الجميع.

وقعت عيناي على المارة، بوجوهٍ أكلها التعب. ثم لمحتُ الرجل ذاته الذي صادفته قبل القصف، يخطو بخطواتٍ مثقلة، وقد بان عليه أنه في نحو الستين. عرفت لا حقًا أنّه أستاذٌ للشريعة الإسلامية في إحدى جامعات المدينة.

اقترب مني، وعيناه يغشاهما خوفٌ وحزن، وقال بصوتٍ مرتجف:

ـ هل رأيتَ أهلَ هذا البيت؟

ترددتُ لحظة، ثم أجبتُه، غير عالمٍ أنها عائلته:

﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ الذينَ آمَنُوا وَيَتّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

لقد ارتقوا قبل قليل... ومضوا أشلاء.

صرخ صرخةً كسرت صمت الركام، كأنّ روحه تفيض من جسده:

تعديل من خلال WPS Office

ـ يا الله، لم يبقَ لي أحد!

كان المستهدَفون... عائلتَه.

تعديل من خلال WPS Office

ذاك اليوم المجهول فقدنا فيه الطريق: ننتقل من مخيّمٍ إلى مخيّم، ومن حيٍ إلى حيّ، والضائع بيننا سيُعثر عليه بعد أشهرَ طويلة. كانت وصيةٌ أمّي وأبي واضحة – امسكوا بأيدي بعضكم حتى نصل إلى السّياج، ومن ضلّ عنه فليجد من يعينه فلا تُضيعنا يدٌ عن يد.

مشينا أمتارًا لا تُحصى مع العائلة، كلٌ في حيرةٍ ووجع، يبحث عن بقعةٍ لو يسند عليها خيمته.

أمّا أنا فقد لمحت الجندي من بعيد؛ مختفٍ في ظلّ البيوت المهدمة، يحمل نظرةً متعطِشةً ابتسمتْ كأنّها شهيّةٌ للدم.

كانت تلك آخر لحظاتنا معًا.

لعلنا ننجو... أو ينجو واحدٌ منا.

صوتي لم يبلغهم؛ كانوا يبتعدون عنّي قليلا ً، وصوت الرصاص مزق جسدَهم.

أمي، أبي، أخي الأكبر، وأختي التي كانت في الثامنة عشرة – ذهبوا.

بقيتُ أنا، وبقي أخي الصغير الذي لم تعِه الحياة بعد، فهو في الخامسة من عمره.

سأموت آلافَ مرّاتٍ بلا عائلتي وبلا أمان.

تعديل من خلال WPS Office

بين الخيمة والرصاص

لم يكن صباحًا عاديًا. أيقظتنا أصوات المذياع القديم الذي يصرخ بخبر جديد عن سقوط حيّ آخر. لم نكن بحاجة إلى المذياع أصلًا؛ فالدخان كان يسبق الأخبار دائمًا، ورائحة البارود تُعلِمنا أسماء الشوارع قبل أن تُذاع.

حملت أمي حقيبة قماشية قديمة، فيها بعض الخبز اليابس وصورة عائلية واحدة. قالت وهي تغلقها بسرعة:

– "نمشي قبل أن يسبقنا القصف."

مشينا. عشرات العائلات تخرج مثلنا، تبحث عن مكان لا تعرفه. أطفال يبكون، رجال يحملون أمهاتهم على أكتافهم، ونساء يربطن قماشًا حول أيدي الصغار حتى لا يضيعوا في الزحام.

كل بضع خطوات، كان أحدهم يسأل:

– "إلى أين؟"

لكن لا إجابة. لم يكن هناك "إلى أين"، بل فقط "إلى بعيد".

على مدخل المخيم الجديد، وقف جندي يفتش الناس ببرود. نظر إلينا طويلًا، ثم مرّ، كأنه يعدّ أنفاسنا لا خطواتنا. خلفه، صفوف من الخيام البيضاء تتزاحم فوق أرض قاحلة. لم نجد سوى بقعة ترابية صغيرة، فرشت أمي عليها الغطاء المهترئ، وقالت:

– "هنا بيتنا... مؤقتًا."

في الليل، لم أنم. كان أخي الصغير يسألني بصوت متعب:

– "متى نرجع على بيتنا؟"

ولم أجد سوى الصمت جوابًا.

تعديل من خلال WPS Office

بين بكاء الأطفال، وصدى الرصاص البعيد، أدركت أنّ الحرب لا تقتلنا مرة واحدة.
إنها تقتلنا كل يوم، ببطء، ونحن أحياء.

تعديل من خلال WPS Office

ظلّ الجدار

في المساء، حين هدأ القصف قليلًا، خرجتُ مع أمي أبحث عن ماء. الشارع لم يعد شارعًا، بل حفرة طويلة تملؤها الأحجار والزجاج.

مررنا بجدارٍ نصفه قائم، ونصفه الآخر سقط فوق ألعابٍ صغيرة؛ سيارة حمراء بلا عجلات، ودمية بلا ذراع.

قالت أمي بصوت خافت:

"هنا كان يسكن جارك حسان."

لم أسأل أكثر. نظرتُ إلى السماء الملبدة، وسمعتُ رصاصة بعيدة تعلن أن الحرب لم تنتهِ بعد. شدّت أمي يدي بقوة، وقالت:

– "امشِ... قبل أن نصير خبرًا آخر."

تعديل من خلال WPS Office

هل ما زلتُ حيًا؟

أطرحُ السؤال كلما استيقظتُ؛ أتلمّسُ الزوايا باحثًا عن جسدٍ قد صار اسماً. الجنود يطوفون البلدة بلا كلل، والموت يقترب من بيوتنا الواحدة تلو الأخرى؛ لا شيء هنا سوى الموت والانتظار.

أمّي أعدّت فطورنا على عجل، كأنها تؤمن بلحظةٍ عابرة تمنحنا طريقًا للخروج؛ كلٌ منا يتجه إلى دوامه وعمله كما لو أن الروتين قنبلة صغيرة تحمينا من الجنون. لا يزال للحلم بقية، حتى لو تحول الجسد إلى اسمٍ على الطاولة. الأمل؟ في الله فقط – هكذا تربينا.

مشيتُ، والطريق أطول هذه المرّة، تمتدّ أقدامي في مسافةٍ تبدو بلا نهاية؛ نحو عشرين حاجزًا تفصلني عن المجهول. أينما التفتّ، أرى جنودًا ومدرعاتٍ تهدر، نظراتهم قاسيةٌ تذيب الأجساد قبل أن تلمسها العجلات.

تعديل من خلال WPS Office

طفولة على رصيف البحر

وحيدًا على شاطئ بحر القطاع، بعيدًا عن ضجيج الحرب الذي غدا جزءًا من يومنا المثقل بالدماء والفزع.

استُشهدت عائلته الصغيرة في قصف عنيف استهدف منزلهم القريب من البحر، فبقي وحيدًا، صغيرًا، خائفًا، يستنشق هواء الوطن الحزين. في عينيه حكاية وطن جريح وطفولة راحلة، وعيناه تبحثان عمّن يمنحه الأمان.

تعديل من خلال WPS Office

حيث أخي عاد شهيداً

أصوات مكبراتٍ، وصوت الجنود يملأ أرجاء المخيم. لا شك أن كثيرًا من الشهداء و الجرحى سيسقطون هذه الليلة، فأصواتهم بعبريتهم المتكسّرة لم تكن سوى حناجر يفيض منها الغيظ والكراهية.

تقول أمي:

"مش غريب عليهم... من أيام الانتفاضة وأوقات حظر التجول."

الساعة لا تمضي أبدًا، ما زالت تشير إلى السابعة مساءً، والرصاص ينهال في كل مكان.

أخي ما زال في الخارج، يحضر دورةً في اللغة الإنجليزية، وقد أوشك على إنهاء المرحلة الثانوية ليستعد للالتحاق بالجامعة القريبة من المخيم.

لم يُجب على اتصالاتنا، لعلّه يختبئ عند بيت أحد الجيران أو بقي في منزل الأستاذ حتى ينسحب الجنود من المخيم.

وفجأة، دوّى الهاتف في البيت كأنّه يصرخ من شدة الوجع.

كان أحمد على الخط، يبكي بحرقة ويردد بصوتٍ مفزع:

"يا أم الشهيد، نيالك... يا ريت أمي بدالك!"

أسرعت إلى النافذة، فسمعت التكبيرات تعلو في الخارج.

أخي الشاب عاد محمولًا على الأكتاف، مضرّجًا بدمه، شهيدًا... أرجوحةً لوطنٍ حزين.

تعديل من خلال WPS Office

الطفلة والكرسي المتحرك

ندى، طفلة في الثالثة عشرة من عمرها، في ربيع حياتها، كانت تتنقل بين الحارات الضيّقة والخيام المتناثرة في قطاع غزة، تحمل في قلبها أحلامًا صغيرة كأعمار الأ طفال، وتنتظر صباحًا جديدًا يفتح لها أبواب الحياة.

لكن في لحظة عابرة، تغيّر كل شيء. صاروخ غادر سقط قرب منزلها في أحد أحياء القطاع، فانتزع منها ساقيها الغضّتين، وأصاب يديها إصابات بالغة، ليحكم عليها بجلوس أبدي على كرسي متحرك، لا يغادرها ولا تغادره.

اليوم، تجلس ندى في ركن من الخيمة، تنظر إلى ساقيها الغائبتين، ثم ترفع عينيها نحو أمها، وتهمس بصوت يتقطّع بأنين موجع:
"أماه... هل سأستطيع أن أركض مجددًا؟ هل سأذهب إلى المدرسة مع صديقتيّ ريم وإيمان؟ وهل سأركض يومًا على رمال شاطئ غزة كما كنت أحلم؟"

يصمت قلب الأم قبل لسانها، تختنق الكلمات في صدرها، وتفيض الدموع من عينيها ، فتعانق طفلتها، بينما صرخة داخلية تردّد: كيف أجيبك يا صغيرتي؟

تعديل من خلال WPS Office

الأم والصورة

في بيت صغير تغمره العزلة، تجلس أم الشهيد كل يوم أمام صورة وحيدها، ذاك الذي انتظرته خمسة عشر عامًا من الحرمان والرجاء. كان ثمرة صبرها الطويل، وأملها الوحيد في شيخوختها.

تأخذ صورته المعلقة على الجدار، تضعها في حضنها، تحدّثه كما لو كان حيًا أمامها. منذ يوم استشهاده، لم تبرح غرفته، ولم تغادر بيتها، وكأنها تنتظره أن يفتح الباب ويعود.

تقول له بصوت مرتجف:
"تأخرتَ كثيرًا يا ولدي... غسلتُ لك ثيابك، وأعددتُ الطعام ووضعته في غرفتك، أنا بانتظارك هنا. بدلة زفافك ما زالت معلقة في خزانتي كما هي، وخطيبتك سلوى لم تزل بانتظارك أيضًا."

ثم تضحك بضحكة ممزوجة بالحرقة، سرعان ما تنقلب إلى بكاء طويل، بكاء التائه الضائع. فهي تعلم أنه لن يعود، وتدرك في أعماقها أن هذا الغياب غياب أبدي، لا لقاء بعده إلا عند الله.

تعديل من خلال WPS Office

العائلة تحت الأنقاض

أراد والدها أن يختار لها اسمًا يليق بجمالها، فسمّاها "هند". لكن الحرب لم تترك له فرصة ليرى ابنته تكبر أمام عينيه.
في ليلة دامية، عند الثالثة فجرًا، دوّى القصف العنيف فوق بيتهم الصغير. لم ينجُ أحد من العائلة، سقط الجميع بين لحظة وأخرى تحت الركام، لتتحوّل الحياة إلى جثث متناثرة وأشلاء ممزّقة.

بعد ساعات طويلة من البحث، سُمع صوت ضعيف ينبعث من تحت الحجارة و الغبار. كانت هند، الطفلة الوحيدة الناجية. أخرجها المسعفون وهي تردد بصوت متهدج:
"ماما نائمة جنبي... صحّوها لو سمحتوا."

لكن الحقيقة كانت أقسى من أن تُحتمل. والدتها ووالدها فارقا الحياة منذ اللحظة ا لأولى، ولم يبقَ منهما سوى بقايا لحم تحت الركام، فيما بقيت الصغيرة شاهدة على مأساة لن يمحوها الزمن.

تعديل من خلال WPS Office

ذهبت شيماء إلى المدرسة في القطاع القريب من بيتها، رغم شدة القصف، إذ كان هناك حلم يرافقها؛ حلم أن تصبح طبيبة مثل والدتها التي استشهدت في قصف مستشفى الشفاء الطبي.

فجأةً دوّى انفجار كبير في المنطقة.
خبر عاجل:
استهداف مدرسة الإيواء في الحي الفلاني.

عثر والدها على حقيبتها في زاوية الصف، بينما وجدها مُضرّجة بدمائها، وقد تطايرت قدمها خارج النافذة.

تعديل من خلال WPS Office

المقعد الفارغ

في الصف الرابع المطل على أحد مخيمات اللاجئين في قطاع غزة، كان مقعد الطفل الصغير آدم فارغًا. كان زملاؤه يضحكون أثناء حصص الحساب، ويشعرون بغياب صديقهم الذي لطالما كان يشاغرهم بابتسامته البريئة.

عندما نادى الأستاذ عمر على اسمه، لم تتجرأ أي يد أن تخبر زملاءه بأن صاروخًا مريرًا خطفه، وأن دفتره سيظل فارغًا. لم تعد هناك أيدٍ صغيرة تكتب الحلم، ولم يعد وجه الضحك موجودًا في الصف.

تعديل من خلال WPS Office

الحذاء بين الركام

بين الركام وحُطام البيوت، عثر رجال الدفاع المدني على حذاء طفلة لم تتجاوز الخامسة من عمرها. كان معهم رجل في الثلاثين من عمره، أوقفه المشهد عن الكلا م. عرف فورًا أن هذا الحذاء ليس لأي فتاة غريبة عنه... إنها ابنته الوحيدة، لمى، التي كانت تلعب هنا قرب بيت الجيران قبل أن يخطفها الموت.

تعديل من خلال WPS Office

الرسالة في الزجاجة

كتب عمر رسالة يقول فيها:
"أريد أن أعيش بسلام، وأموت بلا أشلاء، بجسد سليم"،
ووضعها في زجاجة ألقاها في البحر المقابل لخيمته القديمة، على أمل أن يسمعها أحد، وأن تحقق أمنيته الوحيدة في ظل الحرب الهمجية على قطاع غزة.

سحبت المياه الزجاجة بعيدًا... أما عمر، فقد سقط شهيدًا أثناء قصف جنوني على الشاطئ، ممزوجًا أشلاءه بالماء والدماء.

تعديل من خلال WPS Office

الطابون الباكي

قبل العصر من يوم الجمعة الحزين، كانت أم محمود تُعدّ الخبز على طابون بيتها في الحيّ الشرقي من مدينة غزة، علها تُدخل السرور على قلوب أبنائها الصغار. فمنذ أن بدأت الحرب لم يذق أحد طعم الراحة، الكل مكلوم، يئنّ على جراحه ويبكي على حاله وحال الوطن.

دوّى صاروخ غادر، دون إنذار أو شعار بإخلاء المنطقة. تناثر الدقيق على ثوبها، واختلط بالرغيف الذي لم يكتمل خبزه، فيما تجمّعت أشلاؤها الطاهرة فوقه.

سقطت الأم شهيدة قبل أن تفرح أبناءها الأيتام، وأُغلق الطابون ناره، كأنه ينعى الخبز وصاحبته معًا.

تعديل من خلال WPS Office

غدٌ لم يأتِ

كانت **سارة** الشابة الوحيدة بين أربعة إخوةٍ صغار، وهي أكبرهم سنًا، تعيش مع و الديها المسنّين في بيتٍ صغيرٍ تهزّه أصداء الحرب كل يوم.
جلسوا ذات مساءٍ حول مائدةٍ متواضعة، عليها رغيف خبزٍ وحيدٍ أهدته لهم جارتهم **أم محمود**، تلك المرأة التي اعتادت أن تطعم جيرانها بعد يومٍ شاقّ من خبز الطابون في الحيّ.

أصبح الخوف جزءًا من تفاصيل حياتهم اليومية، ينامون على القلق ويستيقظون على دويّ القصف.
كان كلٌ منهم يخشى أن يُصبح الغد بلا الآخر.

ضحك أخوها الصغير، ثم قال بعفويةٍ بريئة:

"ماما، متى سنأكل الأرز والدجاج بدل هذا الخبز؟"

أخفت الأم حزنها خلف ابتسامةٍ مرتجفة، وقالت وهي تربّت على كتفه:

"غدًا يا ولدي... حين ننجو من صوت الطائرة."

لكن الغد لم يأتِ.
صاروخٌ أمريكيّ الصنع أنهى كلّ شيءٍ في لحظة.
اختفى البيت، واختفى معه الأم، والأب، والإخوة الصغار، وتلاشت الجلسة الهادئة التي كانت تملأ المكان دفئًا.

وبعد ساعاتٍ طويلة من البحث بين الركام، لم يُعثر إلا على **سارة**...
نجت جسدًا، لكنها ماتت روحًا.

تعديل من خلال WPS Office

حين انكسر الأذان

كان الليل كله يتكئ على أصواتهم،
لكن همسات الليل هذه المرّة كانت خائفة،
تحمل في طيّاتها الكثير من الصمت
وكثيرًا من التساؤلات.

الطائرات ما تزال تحلّق فوق السماء،
وتخطف الأرواح السائرة في الشوارع،
ولا يزال الموت يطرق البيوت هنا وهناك.

قال سليم، الأب الأكبر في العائلة:
»سنصلّي الفجر في خيمة النزوح التي أصبحت مسجدنا.«

ذهب الأب وأبناؤه جميعًا ليؤدّوا صلاة الفجر جماعة.
وبعد لحظاتٍ ودقائق،
استُهدفت الخيمة،
وسقط المصلّون،
واختلط الصمت بنداء التكبير.

انتهت تلك العائلة،
لكنّ البيت بقي ينتظر عودتهم،
والجدران تبكي،
مفزوعةً من الفراغ.

تعديل من خلال WPS Office

ظلّ امرأة على الركام

لمّت الحرب دماءها ومضت بعيدًا،
وتركتني أمشي وحيدة في المخيم الذي اعتدت أن أقطعه كل يوم.
كانت الأرض مغطاة بالرماد، لوحة رمادية باهتة،
أستنشق منها رائحة الغياب،
رائحة من بقوا تحت الركام،
أناسٌ لم يعد لهم مكان بيننا.

بين الركام، رأيتها.
امرأة تنتظر، واقفة بلا حراك،
والتعب والحرمان محفوران على وجهها،
والجوع يسكن عينيها كظل لا يغادر.

اقتربت منها ببطء،
حاولت أن أفهم ما الذي عاشته طوال أيام الحرب.
التفتت إليّ،
وعيناها المليئتان بالحزن تحدثتا قبل لسانها،
ثم قالت بصوت مكسور:

»راحوا أربعة من أولادي...
وما لقيت لهم قبور.
وبنتي كمان راحت،
معها جنينها اللي ما أتمّ حتى يومه الأول في الدنيا.

ضلّيت لحالي هون...
بستنى...
مش عارفة شو بستنى،
غير إني أكون أقرب لهم،
زي ما كانوا قريبين مني«.

وقفت أمامها صامتًا،
شعرت بالفراغ الذي تملك المكان،
وبالوجع الذي لا يزول حتى لو غادرت الحرب.

تعديل من خلال WPS Office

وحدتي بعد الحرب

كان الصباح في غزة يأتي بعد الحرب مثقلا ً،
يحمل معه بقايا أملٍ تركه الأب والأبناء خلفهم،
كأنهم مرّوا من هنا ونسوا أصواتهم في الجدران.

للمرّة الأولى بعد النجاة بالجسد،
واستسلام الروح للغياب،
استيقظت أمّ أيمن وحدها.

البيت كان صامتًا أكثر مما يحتمل.
لا خطوات،
لا أصوات شجارٍ خفيف،
ولا ضحكة تأتي من غرفةٍ مجاورة.

نهضت ببطء،
وكأنها تخشى أن توقظ الفراغ.

فتحت باب الغرفة الأولى،
وتوقفت طويلًا.
قالت في سرّها:
هنا كان ينام أيمن...
هنا كان يترك حذاءه قرب السرير،
وهنا كان صوته يسبق استيقاظه.

انتقلت بعينيها إلى سفرة الطعام.
ابتسمت بحزن.
هناك،
كانوا يختلفون على آخر رغيف خبز،
ثم يتقاسمونه في النهاية،
كأن الجوع كان أهون من الفقد.

وفي الزاوية الأخرى،
كان سرير إيمان.
كانت تنام بعد أن تُنهي واجباتها المدرسية،
تضع دفاترها قربها،

تعديل من خلال WPS Office

وكأن الغد وعدٌ لا يخلف.

بحثت أمّ أيمن بعينيها عن أمان،
عن شيءٍ يُنقذها من ثقل الأيام القادمة،
لكن البيت لم يُجب.

اقتربت من أسرّتهم،
تمدّدت بينها،
وضمّت الغياب إلى صدرها،
وحين لم تجد من يحتوي وجعها،
تركته ينفجر دموعًا صامتة،
حزنًا...
وقهرًا...
واعترافًا بأن الوحدة
أقسى ما خلفته الحرب.

تعديل من خلال WPS Office

لماذا لم يدق باب البيت؟

في صبيحة الوطن الحزين،
استيقظت الأم من نومها لتضيء البيت،
وتعد الطعام لأبنها الوحيد،
الذي صبرت لأعوام طويلة لتحميه من كل أخطار الحياة.

كانت الساعة السادسة صباحًا،
وعلى شاشة التلفاز الأخبار عاجلة: اقتحام واسع للمنطقة، تفتيش البيوت، وإطلاق نار في الشوارع.
الجيران يحذرون بعضهم بعضًا، ويمنعون الأطفال من الخروج إلى مدارسهم.

نظر الصغير من حافة الباب،
ثم غفل عن حذر أمه وهو يشاهد الجنود يقتحمون المنطقة.
لم تدم لحظاته في الحيّ،
فأصبح وسط الخطر، بعيدًا عن حضن والدته،
والمخاطر تحيط به من كل جانب.

لم يستطع العودة إلى البيت،
ولا أن يطرق الباب لينادي أمه،
حتى غاب عن مرمى عينها،
وبات معلقًا بين خوفه وقلقها،
والبيت الذي بقي ينتظر عودته بلا صوت.

تعديل من خلال WPS Office

اسمٌ عالقٌ تحت العجلات

على حافة التاريخ،
ينثر الجدّ **سليمان** أشلاء حفيده الأكبر
في زقاق المخيم،
أحد مخيمات الضفة الغربية؛
ذلك الزقاق الذي لجأ إليه طفلًا،
حين غرس المحتل أنيابه
في أراضي **قرية النبعة**
في الجليل الأعلى.

الأخبار العاجلة استوطنت شاشة التلفاز،
والأحداث خارج البيت كانت مُهيبة حدّ الرعب.
اليوم جمعة،
والناس خارج بيوتهم؛
منهم من خرج باكرًا إلى رزقه،
ومنهم من توضأ وانتظر الصلاة،
غير مدركٍ أن الشارع سيُغلق
بالدم لا بالصفوف.

الأمطار تتساقط،
والدبابات تطوّق المكان من كل الجهات،
وأصوات الرصاص ليست اعتيادية؛
فالطلقة هنا إعلانٌ صريح
عن عددٍ جديد من الشهداء.

سليمان... الحفيد الأكبر في الخارج،
والجدّ مُقعد،
لا يقوى على السير،
ولا على اللحاق بما يتكسر من قلبه.

الأخبار تتوالى:
شهداء في الشوارع،
وجسدٌ دهسته دبابة مُصفّحة،
فعلقت أشلاؤه

XL
تعديل من خلال WPS Office

تحت عجلاتها الثقيلة.

المخيم كله غارق في الغاز المسيل للدموع،
وسيارات الإسعاف بالكاد تصل،
والموت يخطف زينة شباب المخيم
واحدًا تلو الآخر.
الاقتحام ينخر في جسده
حتى ارتقى خمسة شهداء،
وسقط عشرات الجرحى،
ومنهم من أطفأت رصاصة
نور عينيه إلى الأبد.

تمرّ الساعات كلمح البرق،
والجدّ ينتظر حفيده...
ينتظر أن يرى **سليمان**،
الذي ورث اسمه،
وكان سيَرِث أرضه في الجليل.

ترتفع مكبرات صوت المساجد،
لا للصلاة،
بل لنعي الشهداء.
ويأتي الاسم ثقيلًا:
سليمان.

حينها فقط،
يدرك الجدّ
أن حفيده لم يعد غائبًا...
بل صار أشلاءً،
شاهدًا وشهيدًا
على وطنٍ
ما زال محفوفًا بالدماء.

تعديل من خلال WPS Office

عبث

هممت بقراءة كتاب، وأنا أقلب صفحاته

وقعت عيناي على الوحدة العربية

سقطت ُ مغشيا علي؛ بعدما عشت الواقع.

تعديل من خلال WPS Office

كابوس

رأى في منامه أنّه أفاق على صوت التحرير، وزغاريد النسوة في البلدة، وقد عادت قدمه إلى جسده،

واختفى أزيز الرصاص،

فزع من نومه على استشهاد عائلته أشلاء!

تعديل من خلال WPS Office

وهم

رأيته مر كلمح البصر على الشبكة الإخبارية! شريط كُتب عليه خبر عاجل ,مددتُ يدي إلى جهاز التحكم ...بقلب متلهف ثم ماذا؟!

قامة عربية تتحدث بشأن السلام مع إسرائيل.

تعديل من خلال WPS Office

خيانة

عندما أردت التحدث باسم الوطن،

وباسم الأحرار،

وأنا فاقد القدم واليد

بضع أعضائي بقي تحت الركام

وأخرى في خيمة النزوح

فجأة سمعتُ ضحكات السمو والمعالي:

يتصافحون مع مجرمي الحرب

فوددت أنني لم أحيا.

أطلقت العنان لقلبي بحسرة مريرة،

وأسلماه.

تعديل من خلال WPS Office

طائرة

حلقت مسرعاً مع أحلامي، ركبت جُنح الليل، وبتُ أصل، داهمتني طائرة الأعراب، ومتت.

تعديل من خلال WPS Office

خيبة

وأنا أحاول النوم تذكرت غبار الحرب، سارعت لحمل دمية أطفالي، سرقت الحرب يدي!

تعديل من خلال WPS Office

رفض

طلب المعلم من طالبه أن ينشد بصوتٍ عالي بلاد العُرب أوطاني، أخرج يده المبتورة من قميصه وسقط باكياً.

تعديل من خلال WPS Office

ضياع

مُنذ اتهامي بأنني إرهابي

قررت البحث عن وطن يحتويني

بعثرت الأوراق

ارتطمت بحافة التاريخ؛

وجدت أنني قد متت بعد النكبة!

تعديل من خلال WPS Office

تمرد

القلم الذي أعتاد أن يبوح ويبكي على وطنه

قرر الرحيل باكراً؟

سال الحبر من عرق جبينه؛

مات من خيبته.

تعديل من خلال WPS Office

براءة

ولدتُ من بين الركام وُحطام البيوت،

خرجت من رحم المعاناة، ثم عُدت نبتة صغيرة إلى الأرض.

تعديل من خلال WPS Office

نص راحل

اعتدت أن أغلق عيناي حتى أستشعر بقلمي، جرى دمه من عنقه قبل أن يكتب، علمت بعدها أن النصوص لا تعود أبداً.

تعديل من خلال WPS Office

جدار

طرت بأجنحتي خلف أسوار المدينة، ارتطمت بجدار العنصرية، قُتلت من خيبة المصير.

تعديل من خلال WPS Office

سياج

ودع أمه من خلف السياج ضاحكاً:

خطفهُ الجنود واحتضنت الأصفاد يداهُ.

تعديل من خلال WPS Office

عودة

رأى أنه قد عاد إلى وطنه، أقتلع الأسلاك الشائكة على الحدود، لتنخر عظامه أول رصاصة بعد العبور.

تعديل من خلال WPS Office

وجع

مزقت الحرب قدماه ويداه، علق شبح يده على ركام بيته؛ كي يبقى البيت شامخاً.

تعديل من خلال WPS Office

تأمل

نظر من حافة بيته إلى النجوم، أغلق عيناه يتأمل مدينته، خطفته قنبلة أمريكية مزقته أشلاء!!

تعديل من خلال WPS Office

تزيف

ذهبتِ لجلب الطعام والشراب إلى الصغار في الخيمة، قتلوني بحجة أني سارق.

تعديل من خلال WPS Office

ذهبت إلى الحاكم بحجة هدم بيتي , أطلق البيان وأصدر القرار، سقط البيت، ثم سجنوني!

تعديل من خلال WPS Office

موت

صَحوتُ بعد عامي الأول من الموت وجدت أن ملامحي قد تغيرت تُحتِتْ من خُذلا
ن المصير؟!

تعديل من خلال WPS Office

الوطن الذي قُتلتُ لأجل أن يحيى، سَكنه الغرباء من بعدي، وأستوطن فيه من قيل عنهم أعراب الخدلان!!

تعديل من خلال WPS Office

خوف

القلم الذي يظهر الحق، ويرسم العاب الصغار، وينشر الورد تحت أقدام الفتيات، اقتحمت القنابل نصوصه، وامتلأ الهامش بالعساكر، أغتال بحجة الردة.

تعديل من خلال WPS Office

خيال

الكابوس الذي مزق واحة أفكاري عندما كنت في الصغر، أيقظت على واقع مهمش مليء بالحواجز والجنود.

تعديل من خلال WPS Office

سجن

ذهبت إلى المدرسة، بأحلام مقيدة، وحقيبة ممتلئة بالكتب، باغتتني دبابات مصفحة ، اعتقلوني بحجة أنني أمتلك رصاص وثورة.

تعديل من خلال WPS Office

الطفل الذي اعتاد أن يرتع ويلعب، يحمل في كيس أشلاء عائلته وبقي وحيداً.

تعديل من خلال WPS Office

عتمة

المدينة التي اعتادت أن تضيء وترخي جدائلها على شواطئ البحر، تحمل بقايا رمادها وتنثره في السماء.

تعديل من خلال WPS Office

ألم

صرخت عليه والدَته لأنها طلبت مِنه أن ينشد من أجلك يا مدينة السلام، صَرخ ع
الياً يَسقط العالم.

تعديل من خلال WPS Office

تاريخ

الأوراق التي اعتادت على نسخ الوحدة العربية وموفقها بوجه الكيان، اختنقت بـ
الحبر عندما نظرت للواقع..

تعديل من خلال WPS Office

مُعلقة

الصورة التي تحتل حائط الغرفة، عَرفت منها شكل البومة السوداء، تذكرت صرخات اللجوء.

تعديل من خلال WPS Office

نفاق.

العالم الذي يهتف بالصلاة مُكبراً، صافح الكافر وَباشر بالسلام مَعُه.

تعديل من خلال WPS Office

أمان

البيت الذي كنت أقوم فيه بمراسم الصباحية، أصبح رماداً تذره الرياح.

تعديل من خلال WPS Office

حق المصير

العِالم الذي مدحه الله في القرآن، أصبح في وطني، مشردا، تائها، ضائعا، يأكل كتبه عوضا عن الطعام.

تعديل من خلال WPS Office

مجرم

الجنين في بطن أمه، قتل بالقنابل، الأسلحة الثقيلة، دبابات، بحجة أنه مجرم، وهو لم ينبت إلى الأرض بعد.

تعديل من خلال WPS Office

صُراخ

ركض هارباً من أصوات الرصاص، وجنود الفيتو، سُقط مغشي عليه، كانت أمه كومة من اللحوم المتناثرة.

تعديل من خلال WPS Office

حيز التنفيذ

وضعت الحرب أوزارها، ذهبت أطمئن على البيت، سرتُ بعكازتي ومشيتُ لقيت بقايا أبنتي في زوايا.

تعديل من خلال WPS Office

المستشفى

أصيب ولدي في شظية برأسه، ركض إلى المستشفى، فلم أجد لا الطبيب ولا المستشفى ولا ولدي، عملت أنني خسرتهما معاً.

تعديل من خلال WPS Office

لغة غير مفهومة

بيتي الذي اعتدت أن أستيقظ فيه على صوت الربيع، ورقصة الفراشة، سَكن بجوارنا مستوطن يشارك نسمات الصباح والمساء.

تعديل من خلال WPS Office

حِوار

الكاتب الذي يقاوم بقلمه، ويجسد وطن صغير، قُتلوهُ بحجة تعليم القلم الإرهاب.

تعديل من خلال WPS Office

وقت

أنفلق الوقت إلى زمانين: الأول حروب فرنجية وبريطانية والثاني حروب إسرائيلية وعربية.

تعديل من خلال WPS Office

مُفكرة

الذاكرة التي تتنفس بالحروف، قتلت نفسها حُزنا على رجفة النصوص وأتلافها.

تعديل من خلال WPS Office

وحيد

رَأيتُ ثلة من الأعراب ومجموعة من اليَهود الأول: أتهمني بأنني بعت وَطني و الثاني: اتهمني بسرقته، انتظرت أن يرحلوا وَقتلت تاريخ.

تعديل من خلال WPS Office

قضى نحبهُ

ظل راكضا خلف أباه , يشيعهُ إلى مثواه الأخير، أطلق النسوة زغاريد، وتناثرت الورود من أيدي الفتيات، أطلق رصاصه على الحاجز، وقضى نحبه.

تعديل من خلال WPS Office

تهشتُ منه جنود المعابر، أوقفت مَسيرة علاجه، مَات قبل أن يحلق بالحقيقة، ومضى مثل الأولين.

تعديل من خلال WPS Office

غُرباء

الرُجل الذي حَمل رُفاتي وبقايا أشلائي وأنا في الغُربة، صَفق لهُ الزمن وابتسمت له وَعاد إلى بيته يقص القصص.

تعديل من خلال WPS Office

عام في أعوام

لم تأت الطيور الجارحة هذا العام، ارتطمت بطائرات العدو وسقط جناحها أرضاً.

تعديل من خلال WPS Office

هربت من أبق الحرب إلى خيمة مُهترئة، أقتحم الصاروخ الخيمة تناثرت أشلائي في البلدة.

تعديل من خلال WPS Office

أخذ بطائرته الورقية يُحلق بها في سَماء الدُنيا، زَينها بعلم البلاد، اتهمهُ العسكر بـ التمرد، قتلوه ومزقوا طائرته.

تعديل من خلال WPS Office

ورق وحبر

قبل أن تبدأ الحرب، أستمع إلى حصص تاريخ وعروبة واحدة، عندما تناثرت أشلاء عائلته حَول الورق إلى ثائر.

تعديل من خلال WPS Office

ثورة

الطفل الذي لم يُولد، يَحمل في قلبه وطن وهوية، وَثورة مُحكمة ذكر فيها القتال.

تعديل من خلال WPS Office

بوصلة

الشرع الذي سار مع البوصلة في البحر، وصل إلى الشاطئ نظر إلى ذلك الجندي المدجج بالسلاح، مات من شدة الحسرة.

XC
تعديل من خلال WPS Office

الريح

ركض خلف الريح، أراد أن يذهب إلى عالم لا تأكل النيران جسده، أوقفته طائرة حربية حولت جسده إلى حفل شواء.

تعديل من خلال WPS Office

الساحر الذي أراد أن يخطف الأرض والهوية، قُتل بسحره، أطلقت التعاويذ شعائرها الكاذبة.

تعديل من خلال WPS Office

يقصص القصص

المعلم الذي مضى حياته يقصص قصص الفراعنة على طلابه، عاد ممزقا من حاجز بلدته، نسي وطنه.

تعديل من خلال WPS Office

أحضرت الكراسة وقلم وألوان مائية، حصلت على أجنحة في طرف الأوراق، قصصت الجنود وحضنت الديار وطرتُ بلا هوية.

تعديل من خلال WPS Office

برهة

توقفت الحرب لِبعض أيام عِجاف، التفت الصغير نحو بيته المَكوم، بدأت يبحث جزء من أمه.

تعديل من خلال WPS Office

ركض ليبشّر والديه بأن شاحنة الطعام قد دخلت من المعبر، لكنّه حين وصل لم يجد إلا دماءهم الملطخة على الأرض، وبقايا فتات خبزٍ متكسّر.

تعديل من خلال WPS Office

حدثتُها عن الشهادة، علّها تفهم ما معنى الوطن، ثم أغمضتُ عيني أترقب إشراقة الصباح. وما إن فتحتها، حتى كان خبر رحيلها عاجلًا قبل أن يأتيني دوري.

تعديل من خلال WPS Office

سحاب اسود.

وضعت الحرب أوزارها، ابتسم الطفل من فاتحة الخيمة قائلا: هل ستنمو يدي مجدداً مثل هذه الزهرة ي أمي.

تعديل من خلال WPS Office

الفتاة التي كانت تستعد لترتدي الفستان الأبيض، وتحلم بحياة جديدة، استشهد عريسها قبل أن يبدأ فرحهما.

تعديل من خلال WPS Office

اثنا عشر كوكبًا

غادرت بيتها لتتقاسم الطعام والشراب مع أختها، فجاءها خبر استهداف منزلها.
هرعت مسرعة، فإذا اثنا عشر كوكبًا قد لمع نورهم في سماء الشهادة.

تعديل من خلال WPS Office

عُود ثِقاب

العُود الذي كان يُنير جدران البيت الذي فيه أنا وعائلتي، أطفئ نيرانِهِ وَذهب عندما عاد صوت القصف.

CI
تعديل من خلال WPS Office

النهاية.

بَلغتُ من العمر، رَكبتُ موجة البحث عن الوطن في زحام العالم انصدمت بِالمؤتمراتِ عدتُ أنا وخيبتي..

تعديل من خلال WPS Office

الخاتمة

ليس هذا الكتاب حبرًا على ورق، ولا ذاكرةً عابرة تُطوى مع الزمن، بل ذاكرةٌ عصيّة على النسيان، لأن ما جرى ليس مما يُنسى، ولأن وطنًا كفلسطين لا يُمحى من الذاكرة.
فالتاريخ وحده يشهد من هي فلسطين، ومن هو المخيم، وكيف يتساقط الشهداء كأوراق الخريف، لتزهر أرض الوطن بدمائهم الطاهرة.

هذه ليست قصصًا من نسج الخيال، بل هو الواقع كما هو:
حروبٌ متعاقبة، وتاريخٌ مثقل بالجراح، وعالمٌ متخاذل يكتفي بالمشاهدة.

ولحظة اختيار هذا العنوان لم تكن إلا عجزًا عن النسيان؛
عجزًا عن نسيان التاريخ، والحروب، وأشلاء الصغار،
وعجزًا عن نسيان وطنٍ لم يعرف الأمان يومًا،
حيث الموت متربص في الطرقات،
وحيث الخروج من البيت قد يكون الرحلة الأخيرة.

فلسطين الصغيرة

رجاء بنت اليوسف

تعديل من خلال WPS Office

تعديل من خلال WPS Office